بعد أن وضع السماعة، بقى شاخصا، جامدا، غير قادر على مفارقة مقعده، متخيلا طبيعة المكالمة لو أن هذه اللعينة ألانت دماغها وقبلت الدعوة.

رغم أنه لم ينطق بكلمة توبيخ أو حتى لوم، لكنه اعتبر حديثه إليه من أقسى ما تلقاه فى حياته، جز على أسنانه، وضغط يديه، أغمض عينيه مقسما أن يصل بها إلى أيام لا تكف فيها عن الحديث إلى نفسها، ما تمناه أن يصل إلى نهاية خدمته - التى لم تعد بعيدة - فى هدوء، أن يخرج مثل أولئك الذين بذلوا أعمارهم من أجل رسوخ البنيان، أن تكتمل أيامه بتعيين ابنه، يضمن له موقعا ولو ضئيلا، يعرف استحالة ذلك خارج الإطار الذى أمضى عمره فى خدمته.

ما شغله، ما كدره، ما انتهى إليه عم شرف، شرف الجميل، قرين الحمام والبهجة والجدعنة، عند دخول الجلاديوس ثرية القوام هفهافة الامتشاق توقفت أمامه، أومأت لكنه ظل محملقا إليها مرفوع الذراعين فى وضع ثابت كأنه يقود عربة غير مرئية، لكنه متخشب، متيبس تماما، غير أن ما بث الخوف فى أوصالها حركة عينيه، إنه حى، يتنفس، لكنه لا يتحرك بالمرة.

صرخة مكتومة دفعت بموظفى المكتب الأمامى وحراس الأمن الخاص، والمسئول عن المصعد الرئاسى إلى الإحاطة بها، والحملقة فى اتجاه نظراتها، «هاتوا الإسعاف..»

حتى فى زعيقها وفزعها بدت مثيرة، فواحة، تساءلت باستنكار، كيف لم يلحظ أحد وضعه الغريب من قبل، كم مضى عليه؟، لم يجب